جولة فى حديقة الحيوان

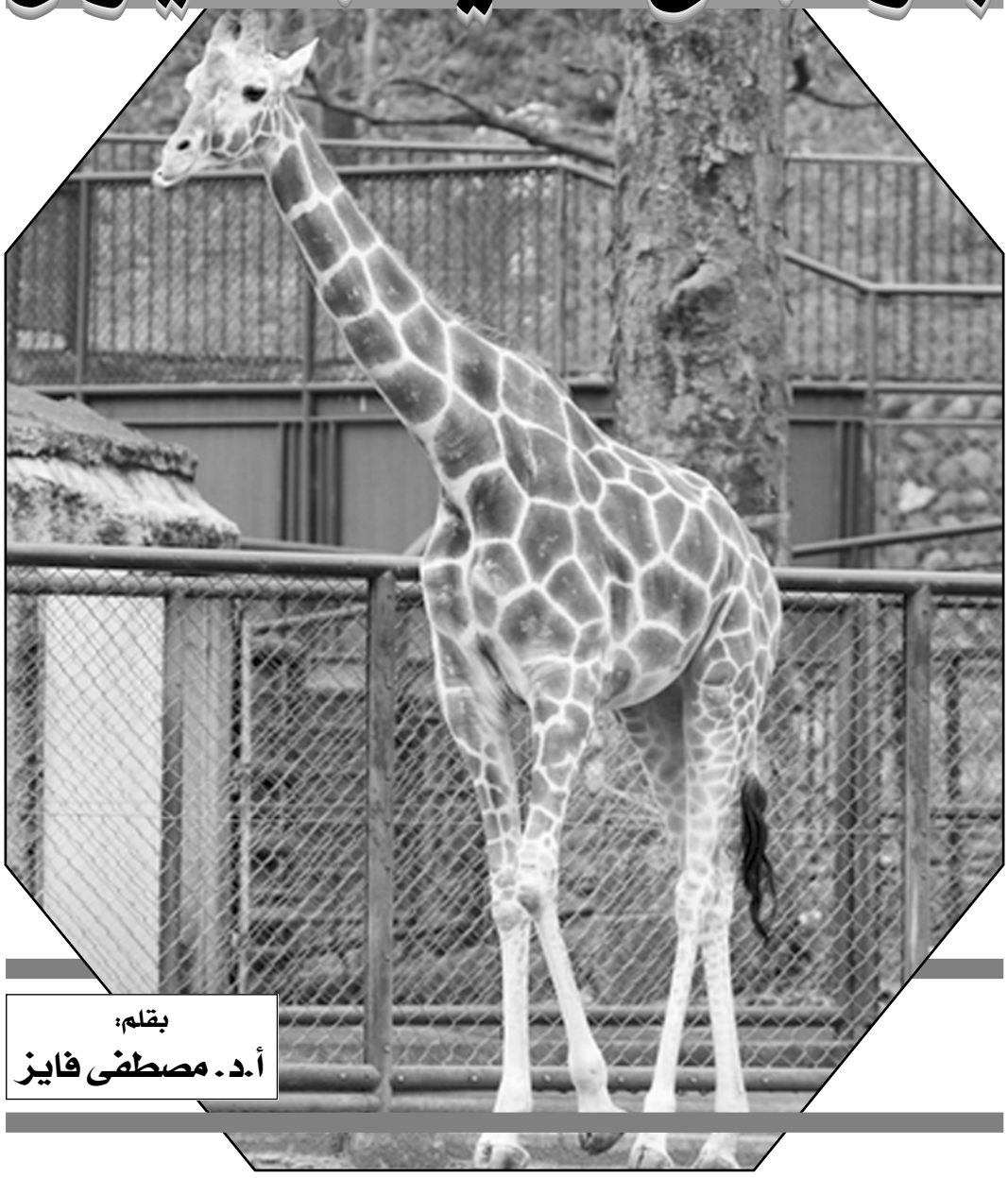

بقلم:
أ.د. مصطفى فايز

لاشك أن التجول فى حديقة الحيوان متعة، وأى متعة، خصوصًا إذا كانت من النوع الكبير الشامل، الذى يضم غالبية الحيوانات والطيور.. إن المرء لايملك سوى ترديد قول الله عز وجل: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان:١١] فهذا حيوان مفترس، وبجواره آخر رقيق، وذلك طائر شرس، وبجواره آخر جميل الشكل يسر الناظرين..

وإذا كانت تلك الحدائق للكبار متعة وإعمال فكر، فإنها بالنسبة للصغار أمر فى غاية الأهمية..

فإن أكثر ما يشكل نفسية الصغير، ويزرع فيه قيمًا وأخلاقًا ومشاعر بعينها، هو رؤيته لهذا الجمع من الحيوانات الذى تجتمع فيه الإجابات حول العديد من التساؤلات والأفكار التى تدور فى نفوس هؤلاء الصغار..

لنبدأ ببيت السباع، هذا هو ملك الحيوانات فى الغابة تزينه وتزيد من هيبته هذه «المعرفة» التى تكسو العنق وأعلى الصدر تمامًا، وهى قد تكون كثيفة طويلة الشعر تتدلى خصلها من الأمام حتى قواعد المخالب ومن الخلف حتى منتصف الظهر وجانبى اليدين، ويحلى الذيل خصلة من الشعر الغزير توجد فى نهايته. وتُتخذ «المعرفة» أساسًا للتمييز بين الأصناف، كما تميز الذكر عن الأنثى. ويختلف لون الأسد من الأصفر المحمر إلى البنى الباهت.

ويقدم الطعام للسباع مرة واحدة فى اليوم، وهذه الوجبة تكون من لحم البقر أو الخيل، وتختلف الكمية اليومية من ٤-٥ كيلو للحيوان الواحد وذلك حسب حجمه. وبالنسبة للحيوانات آكلة اللحوم عمومًا، وخاصة السباع والنمور، فإنها تُعطَى فى كل يوم سبت وجبة من الماء والسكر فقط فتكون لها بمثابة شربة، ولا يعطى لها فى هذا اليوم غير ذلك.

وتضع أنثى الأسد من شبل واحد إلى ستة أشبال، وتعتنى الأم بصغارها عناية فائقة فتدأب على تنظيفها بلسانها باستمرار وتبعد القاذورات عن وكرها بحيث يكون نظيفًا دائمًا، وتدافع عن الصغار حتى الموت، وتكون فى هذه الفترة بالغة الشراسة، سريعة الغضب.

وبخروجنا من بيت السباع نجد أمامنا جبلين صناعيين يربطهما جسر معلق من الحديد، دقيق الصنع، هذا هو الوحيد من نوعه فى مصر، ويسمى بالكوبرى المعلق، كما يوجد بالحديقة أيضًا خمس جبلايات ذات رونق خلاب، تزين الجبلاية الكبرى منها تماثيل

مختلفة للحيوان المنقرض المسمى «خرتيت الفيوم» وبأخرى للتماسيح والطيور الغريبة، وفوق سطحها حديقة صغيرة يوصل إليها طريق حلزونى، وتحتوى هذه الجبلاية على مقصورات عديدة وممرات مسقوفة بالنباتات المختلفة.

وهذه أقفاص النمور والببر، ويتميز النمر بالبقع السوداء التى تزين جسمه والتى تكون إما على شكل حلقى أو بقعًا كاملة، وهو أجمل حيوانات فصيلته، وهو يتمتع بمرونة عضلاته التى تتيح له اللحاق بأسرع الحيوانات، ويبلغ النمر أوج جماله أثناء مشيه أو عدوه ليدرك فريسته، ويستطيع أن يتسلق الأشجار. والنمر يستوطن الأدغال الكثيفة والغابات ذات الأشجار الكبيرة المتدلية ومتعانقة الأغصان، كما يوجد حيث تكون الأعشاب والحشائش الطويلة. وهو حيوان قوى شجاع، مخادع، شديد الولع بالفتك وسفك الدماء، كما أنه شديد الحذر؛ لذلك فإن صيده أشق من صيد السباع، ويعتبر أشد الحيوانات المفترسة خطرًا على الإنسان والحيوان.

وأنثى النمر تدافع عن صغارها فى عناد وصلابة، وبالرغم من شراسة الحيوان فإن صغاره إذا أُخذت وهى صغيرة استؤنست وألفت حياة الأسر. وتضع الأنثى من ١-٥ من الصغار.

أما الببر فهو يختلف عن النمر فى أن جسمه محلًّى بتخطيط جميل أسود اللون، وهو حيوان خفيف الحركة فائق السرعة، لا يتعب إلا بعد وقت طويل وجهود جبارة، وهو فى غزواته يقطع مسافات شاسعة فى وقت قصير ويعدو فى سرعة كبيرة، كما أنه يجيد السباحة، ويفضل فى غذائه لحم الغزلان ووحش البقر والخنزير البرى، كما يأكل القرود والطاووس إذا وقعت له، وعند الحاجة يأكل الزواحف والجرذان، ويقدسه بعض سكان الهند وسيبيريا حيث يُنزلونه منزلة الآلهة ولا يذكرونه باسمه، ولكن يطلقون عليه عبارات تنم عن الإجلال والاحترام والهيبة. ومدة الحمل للببر حوالى ٩٩ يومًا، وتضع الأنثى من ٢-٤ صغار فى السنة، ولا تبارح الأم صغارها فى الأسبوع الأول إلا مدفوعة بألم الجوع، ومتى استطاع الصغير أن يأكل تخرج الأم للتجوال البعيد، وبعد ذلك تخرج الأم مع صغارها؛ حيث تبدأ الصغار فى الصيد لنفسها ابتداء من الشهر الثامن ولكنها تبقى فى كنف الأم أطول من هذه المدة. وهو مثل النمر يمكن استئناسه إذا أُخذت صغاره وعمرها لا يزيد على شهر على أن يأخذ كفايته من الغذاء حتى لا تعاوده النزعة الوحشية. أما أنثاه التى تبدو هادئة فإنها تصبح خطرًا على الحراس عند الوضع وتقابلهم متجهمة مكشرة عن

أنيابها إذا حاولوا الاقتراب منها، كما أنها تهاجم الذكر فى عنف ووحشية إذا حاول الاقتراب منها أو من صغارها. وفيما عدا هذه الفترة فالببر فى الأسر أليف يحب ويطيع القائمين على شئونه، ويقابل المعاملة الحسنة بمثلها، ومع ذلك فيجب أن تظل صداقته موضع حذر؛ لأنه لا ينسى الإساءة أبدًا.

حيوان لطيف

أما هذا الحيوان اللطيف فيسمى سبع البحر، إن حركاته مسلية كما ترى وهو حيوان ذكى، يمكن استئناس بعض أنواعه وتدريبها حيث تُرى بكثرة فى دور الملاهى وهى تقوم بمختلف الألعاب إذ إن لديها قابلية فائقة للتعليم والتدريب، ويمكنك أن تستدل على مكانه من صوته المبحوح الذى يشبه نباح الكلب أحيانًا وخوار الثور أحيانًا أخرى.

ويتغذى سبع البحر على الأسماك والحيوانات والطيور البحرية وأشباهها، كما أن بعض الأنواع تبتلع أحجارًا صغيرة تسهيلاً لعملية الهضم كما تفعل الطيور، وتقدم له وجبتان يوميًا من الأسماك.

ويعيش سبع البحر معيشة جماعية فى جميع بحار العالم الشمالية والجنوبية، وهو يفضل الأماكن القريبة من الساحل، ولا

يُرى على اليابسة إلا فى فترات التكاثر وأيام الطفولة، وإذا شعر بالخطر لجأ للماء، وهو يُصاد للحصول على جلوده واستخراج الزيت والشحم.

والآن دعنا نتجه لرؤية أحد الحيوانات التى يحبها الأطفال كثيرًا وهو الفيل، إنك لن تستطيع أن تقاوم رغبة أطفالك فى ركوب الفيل والتمتع بجولة فى الحديقة على ظهره، وهم يُسرّون عندما يجدونه يمد خرطومه الطويل ليتناول الطعام من يد الحارس، أو ليشرب أو ليستحم مستخدمًا خرطومه كرشاش يرش به جسمه الضخم.

ويتغذى الفيل على الدريس صيفًا والبرسيم شتاء، كما يأكل أوراق الأشجار المختلفة، ويأكل عيدان القصب بأكملها، ويحتاج يوميًا إلى ٥ ك بطاطا، وفى المساء تقدم له وجبة من الأرز باللبن.

وحاسة الشم فى الفيل قوية جدًا حتى إنه يستطيع أن يشم آثار مرور أقدام الإنسان حتى ولو كان قد مضى عليه عدة ساعات. كذلك فإن حاسة السمع لديه قوية جدًا، فهو يسمع على بعد أكثر من أى حيوان آخر. لذلك فإنه من الخطر على الصيادين أن يكون مكانهم فى اتجاه الرياح بالنسبة للفيلة؛ لأنها تعرف مكانهم وتهاجمهم بوحشية. وتُصاد الفيلة للحصول على العاج الذى يروج فى الأسواق الأوروبية.

.. وحيوان ضخم

وهذا ثانى الحيوانات الضخمة بعد الفيل وهو فرس النهر

(المعروف باسم سيد قشطة) ويصل طول جسمه إلى ٤ أمتار وارتفاعه إلى ١.٥ متر، وفتحة الفم واسعة جدًا تتسع للكميات الضخمة من الطعام التى يتناولها يوميًا، فيقدم له يوميًا الدريس صيفًا والبرسيم شتاء، والبطاطس و٥ كيلو من البطاطا. ويستطيع سيد قشطة أن يغطس تحت الماء لمدة تصل إلى ٩ دقائق بدون تنفس، وهو إذا عرق فإن لون عرقه يكون دمويًا حتى قد يظن الزوار أنه مجروح.

وسيد قشطة يجيد السباحة كما يجيد الجرى بالرغم من ضخامته، ويعيش فى قطعان يتراوح عددها من ٢٠-٤٠ فردًا، ويوجد على شواطئ الأنهار؛ حيث يتغذى على الأعشاب الأرضية والمائية، فيلتهم منها كميات كبيرة، ويقضى نهاره فى الماء، وإذا لم يزعجه أحد فإنه يقضى جزءًا كبيرًا من النهار على الشواطئ، وعندما يغطس فى الماء فإنه يرفع رأسه من آن لآخر لأخذ جرعة من الهواء للتنفس، وعندما لا يكون آمنا فى الماء فلا يُظهر إلا منخاريه، وكثيرًا ما يخفى هذين المنخارين بين الأعشاب فلا يلحظ أحد وجوده.

.. وأطول حيوان

وأطول حيوان بالحديقة هو الزرافة؛ وذلك نظرًا لطول عنقها وأطرافها. ومن الغريب أن هذا العنق -على طوله- يحتوى على ٧ فقرات فقط شأنها فى ذلك شأن جميع الثدييات. إنما يرجع السبب فى طول العنق إلى طول جسم كل فقرة من الفقرات السبع بحيث تتناسب مع حجم الحيوان نفسه.

ومن العجيب أيضًا أن قلب الزرافة يستطيع أن يضخ الدم بكفاءة عالية حتى يصل إلى الرأس والمخ وحتى يصل إلى جميع الأطراف -سبحان الخالق العظيم.

وتستوطن الزرافة أفريقيا؛ حيث تعيش فى مجموعات كبيرة فى مناطق الغابات، وتأكل أوراق الشجر العالية بشراهة، فتجرد الأشجار من أوراقها بسرعة بالغة. واللسان بالغ الطول قوى مرن يعمل كخرطوم الفيل

لفحص الطعام وتحسسه والقبض عليه. وهى تضطر لإفساح طرفيها الأماميين عندما تشرب أو ترعى الحشائش حتى يصل الفم لسطح الأرض، ولكنها تستطيع أن تستغنى عن شرب الماء لمدة طويلة.

وعنق الزرافة بمثابة برج للمراقبة تستطيع أن تراقب به الأشياء البعيدة. والزرافة فى وداعة الحمل، ولكنها قد تصبح شرسة فى الأسر فتهاجم حارسها، كما أنها عصبية المزاج؛ لذا يجب على زوار الحديقة وعلى حارسها ملاحظة ذلك؛ حيث يمكن أنه تقتلها أى صدمة عصبية.

الدببة

وهذه هى الدببة.. إنها كما ترى ذات أجسام غليظة، أما أذنابها فهى قصيرة لا تكاد تظهر من الفراء، وهى من الحيوانات آكلة اللحوم، ويصاد الدب لفرائه كما يؤكل لحمه.

والدب الأبيض (أو القطبى) أكثر الدببة أكلا للحوم، ويصل وزنه إلى ٧٠٠ رطل، ويبلغ وزن الدب السمين مكتنز الشحم ١٦٠٠ رطل، وشعر فرائه طويل مجعد كثيف، ولونه يلائم لون الجليد، فهو أبيض ناصع أو أبيض مصفر، ويستوطن أقصى الشمال من العالم حتى القطب، ولا يعبأ بالبرد أو الجليد، بل يتجول فوق الماء المتجمد، وقد يحفر فيه مخبأ يأوى

إليه، والأنثى تقوم بعمل جحر لها لتلد فيه فترة الشتاء. وحاستا الشم والنظر لديه قوية لدرجة كبيرة، ويتغذى على الحيوانات التى تعيش فى البحار والطيور والبيض والغذاء النباتى.. إن وُجد. وتلد الأنثى من فرد إلى ثلاثة أفراد كل سنتين، بعد مدة حمل تبلغ ٨ شهور، وهو يُصاد من أجل اللحم والشحم والفرو.

أما الدب الأسود الأمريكى فيختلف عن السابق فى أن شعره طويل قوى أملس ذو لون أسود لامع، وتضع الأنثى من ١:٤ صغار، وهو أقل شراسة وأكثر قابلية للاستئناس حتى إنه يذكّر حراسه بطعامه، وهو متسول لطيف، انظر كيف يقف على أرجله ويمد يده بالسؤال، أعتقد أنه لا يمكن لأى شخص أن يرد هذه اليد الممدودة إليه طالبة الطعام.

الدب الأسمر (المنك)

أما الدب الأسمر فلونه يختلف من البنى إلى الأصفر البنى، ويستوطن الأماكن الجبلية فى أوروبا وآسيا الشمالية وشمال غرب أفريقيا، وهو وإن ثقل جسمه فهو ليس بطيئًا؛ إذ يستطيع أن يعدو أسرع من الإنسان، ويحسن السباحة والتسلق حتى فى كهولته، فقوة جسمه ومخالبه ييسران له تسلق جدران الصخر. وهو كثير الريبة لا يأمن أحدًا؛ لذلك يصعب استئناسه تمامًا، ويُصاد للانتفاع

بشحمه لعمل زيوت لتقوية الشعر، وتضع الأنثى فى المرة الواحدة من ٣-٥ من الصغار.

القرود والنسانيس والشمبانزى

ونختتم زيارتنا بمشاهدة أكثر حيوانات الحديقة التى يجتمع حولها الزوار؛ لما تقوم به من حركات مسلية تدعو للإعجاب، أظنك قد عرفتها.. إنها القرود التى تعتبر أرقى الثدييات وأقربها للإنسان.

والقرد حيوان اجتماعى بدرجة لا توجد فى غيره من الحيوانات، ويتحلى بفضيلة الإيثار التى هى أبرز صفاته والتى تعتبر فى شريعة البشر من أعظم وأنبل الصفات، فهو فى مواطن الخطر ومواقف الخوف والحرج ينسى نفسه ويقدم صالح الرفاق والأسرة على صالحه الذاتى، وهذه الحيوانات تدين بهذا المبدأ السامى المثالى الذى يقول: «الفرد للجماعة، والجماعة للفرد».

ونلاحظ أن الخلق والتكوين فى القرود يبين أنها حيوانات متسلقة؛ ولذلك فأحب مقام لها فوق الأشجار، وتستوطن الغابات، والقليل منها يوجد فى أعالى الجبال الصخرية، وهى من أسرع الحيوانات وأكثرها حركة، وأهم غذائها النباتات والحشرات والطيور وبيضها، وهى تُنزل بالحقول والبساتين أبلغ الضرر فتتلف عشرة أمثال ما تأكل، فالقرد لا يقطف الثمرة ويأكلها مباشرة، بل إنه يمعن النظر فيها أولاً ثم يقربها من أنفه ليتأكد من صلاحيتها، وإذا لم تعجبه رماها وقطف أخرى وهكذا، لذلك يتداول سكان شرق السودان مثلاً شائعًا وهو: «نحن نزرع والقرود تحصد».

والقرد كالإنسان لا يرتبط فى تكاثره بفترة خاصة ووقت معين، إذ تُرى بين مختلف جماعاتها صغار فى مختلف الأعمار على مدار السنة. ومدة الحمل فى الأنواع الصغيرة لا تزيد على ثلاثة شهور، أما فى القردة العليا كإنسان الغابة فتبلغ تسعة أشهر، وتضع الأنثى غالبًا جنينًا واحدًا.

والقرود والنسانيس تقسم إلى:

١- قردة الدنيا القديمة: وهى تشبه الإنسان فى وجود حاجز بين فتحتى الأنف، وتتميز بأن لها جيوبًا صدغية تمكنها من تخزين الأغذية بها عندما تكون مضطرة لالتهام كمية كبيرة من الطعام بسرعة، وبعد ذلك تأكلها بالتأنى على انفراد، وكثير منها يتميز بوجود أجزاء عارية من الشعر، وقد تكون ملونة فى منطقة العجز، وهذه المجموعة من القرود هى أجمل القردة وأرشقها وأسرعها حركة، ومعظمها يعيش فى جماعات بين الغابات الكثيفة، وهذه القرود ممثلة فى الحديقة بأنواع كثيرة منها: الميمون الكبير والصغير، والقرد الحبشى، والقرد الأصفر، وقرد غينيا، ونسناس

أحمر رقاص، وأبو شنب، ومونا، وأبيض الحلق، وذو قلادة، والشكما، والعبلنج السودانى والجنوبى، وكلها تقطن أفريقيا، وأسدى الذنب وأنواع المكاك وكلها تقطن آسيا.

٢- قردة الدنيا الجديدة: وتعرف بالقردة فطسى الأنوف، وتتميز بعدم وجود جيوب صدغية وبعدم وجود أجزاء عارية من الشعر فى منطقة العجز، والذنب موجود دائمًا، ويكون أحيانًا عضوًا مهمًا يستعمل فى القبض على الأشياء كالأغصان لوجود عضلات قوية بطرفه تيسر له الانقباض والالتفاف بشدة، وهذه القرود لا يوجد بينها ما هو زاهى اللون كالتى تستوطن الدنيا القديمة، ويوجد منها بالحديقة الكبوشى كبير الرأس، والعنكبوتى، والصوفى.

أما الشمبانزى فإنه يستطيع أن يمشى على أطرافه الأربعة، ويستطيع أن يقلد الإنسان فى كثير من حركاته. لذا فهو محبوب جدًا لزوار الحديقة ويعرف أيضًا باسم البعام، ويقطن أواسط وغرب أفريقيا، ويغطى جسمه شعر أسود، وأذناه كبيرتان، وأقدامه تشبه أقدام الإنسان ولكنه لا يستطيع أن يقف منتصب القامة لمدة طويلة، ويعيش أزواجًا وجماعات.

ومن الغريب أن طفل الشمبانزى يعانى ما يعانيه طفل الإنسان من ظواهر مرضية عندما تنبت أسنانه، ويكثر من وضع أصابعه فى فمه.

ويعمر الشمبانزى فى حديقة الحيوان عشرين عامًا، وهو قابل للتدريب لدرجة بالغة فيقلد كل ما يراه ويقوم بكل ما يُطلب منه فى تؤدة وتفكير يدعوان للإعجاب، ويقدم له الطعام نفسه الذى يقدم لإنسان الغابة، ويتناول وجبتين يوميًا مثله فى ذلك مثل القرود بأنواعها.

متحف الحيوانات بالحديقة

ولنختتم جولتنا بزيارة متحف الحيوانات بالحديقة، وهذا المتحف تم إنشاؤه فى عام ١٩٠٦، وبه نماذج من المحنطات النادرة والهياكل العظمية والجلود والجماجم لمعظم أنواع الحيوانات والطيور والزواحف البرية.

وقد تم تجديده فى عام ١٩٦٢ وإنشاء ديوراما جديدة تضم بعض الحيوانات البرية وطيور البيئة المصرية.

وفى عام ١٩٨٨ أعيد تجديد دواليب العرض الخشبية واستبدال ديورامات معدنية بواجهات زجاجية بها، تماثل البيئات الطبيعية التى تعيش فيها هذه الأنواع.

ويقوم المتحف الحيوانى بالحديقة بدور مهم وفعال فى تنوير الأذهان وتثقيف العقول وإمتاع النفوس واستكمال مهمة حديقة الحيوان.